

الاهرام ان اسمه « السيد احمد عطية » من سكان القاهرة ، وانه كان يقيم في حيفا قبل ذلك باثنتين وعشرين عاما ، وانه كان يشغل وظيفة « ورديان » في جمر حيفا ، وانه كان زوجا و ابا لثلاث بنات صفيرات (٤٣).

تبقى بعد ذلك نقطة اخرى ما تزال تحتاج الى تحقيق ، وهي ما ذكرته بعض المراجع العربية (٤٤) من ان القسام كان ينوي احتلال حيفا واعلان ميلاد ثورة شعبية كبيرة . وان كنت ارى على ضوء تطور الاحداث ان ذلك لم يكن امرا مطروحا — على الاقل في تلك المرحلة — وان تنفيذه كان يحتاج الى مزيد من الرجال ومن العتاد ومن التهينة الشعبية اللازمة التي لم تكن قد توفرت بعد بالقدر الذي يجعل هذا الهدف امرا قابلا للتنفيذ في ذلك الوقت . وقد اثارت هذه المعركة عواطف ابناء فلسطين والهبت مشاعرهم ، فتقابلوا بمظاهر جياشة من الاكبار ، حتى خشيت السلطة من ذلك ، فسلمت جثث الشهداء لذويهم وأغمضت العين عن الاحتفال بدفنهم (٤٥) . وقد نعى الشيخ عز الدين القسام وصحبه من مآذن المسجد الأقصى ومساجد فلسطين ، وصلى الناس عليهم في كل مكان صلاة الغائب (٤٦) . وسار موكب الجنازة مجلا بالاعلام السورية والمصرية والعراقية والسعودية واليمينية (٤٧) . وقد حضر الجنازة جمهور كبير من المواطنين ، وحيث الصحافة العربية الشيخ القسام كشهيد للوطن والعقيدة . « ايها الصديق العزيز والشهيد . لقد سمعتك تعطف فوق منصة ، مستندا الى سيف ، اما اليوم وانت في جوار الله ، فقد أصبحت في مانتك اكثر عظة عما كنته في حياتك » (٤٨) . وقد اغلقت مدينة حيفا في ذلك اليوم ، وصلى على الشهداء في المسجد الكبير ، وانقلبت الجنازة الى مظاهرة وطنية هاجمت فيها الجموع دائرة الشرطة فحطمتها ، كما حطمت نوافذ المحطة ، واصيب عدد من رجال الشرطة البريطانيين ، ولولا ان لزمته السلطة الصمت وسحبت جنودها لتطور الامر الى درجة كبيرة (٤٩) . وابت الجماهير الا ان تشيع الشيخ عز الدين القسام الى مقره الاخير في قرية الياجور التي تبعد عن حيفا نحو عشرة كيلومترات . سارتها على الاقدام حاملة نعش الشهيد ، فكان مشهدا رائعا من مشاهد الوطنية الحقة (٥٠) . وغلطن اهل فلسطين الى الغرض الذي اراده القسام باستشهاده ، فاحتفلت حيفا في اوائل يناير ١٩٣٦ بتأبينه وتأبين رفاقه بمناسبة مرور اربعين يوما على استشهادهم احتفالا رائعا (٥١) .

ولم يفت الشعر الوطني ان يعبر عن هذه الحادثة ، فهذا هو الشاعر عربوس يردد :

من شاء نلبأخذ عن القسام	أتموذج الجندي في الاسلام
وليتخذها اذا اراد تخلصا	من ذله الموروث خير امام
ترك الكلام ورفعه لهواته	وبضاعة الضعفاء محض كلام
او ماترى زعماءنا تعد اتخذوا الـ	آذان قولا ايما اتخام
كنا نظن حقيقة ما حبروا	فأذا به وهم من الالهام (٥٢)

وجرت يوم ١٩ أكتوبر ١٩٣٦ محاكمة عصابة الشيخ القسام ، فحكم على كل من احمد الحاج عبد الرحمن وحسن باير وعرابي بدوي بالسجن اربعة عشر عاما مع الأشغال الشاقة ، واسعد المفلح والشيخ نمر السعدي وداود علي الخطاب ومعروف الحاج جابر بالسجن سنتين (٥٣) . وتضيف بعض المراجع اسما آخر الى الذين حكم عليهم بأربعة عشر عاما وهو محمد يوسف ، وان المحكمة اوصت بمعاملة المحكوم عليهم بمعاملة خاصة وأن يعتبر تاريخ سجنهم من يوم ٢ مارس ١٩٣٦ (٥٤) . وقد أعلن رجال القسام امام المحكمة والقاضي البريطاني انهم خرجوا لقتال البريطانيين لا اليهود (٥٥) .

اما الجاسوس الذي وشى بعصابة الشيخ القسام وهو احمد نايف ، فقد اغتاله المجهدون في حيفا قبيل محاكمة جماعة المجاهدين (٥٦) . واما الذين ساعدوا في القبض على المجاهدين او شهدوا زورا اثناء محاكمتهم ، فقد اغتالهم المجهدون في اوائل عام ١٩٣٧ (٥٧) . وكان القساميون قد لجأوا في تلك الفترة الى الاغتيالات الفردية لارهاب